

تأثير البيئة في اعمال الخزاف خالد العبيدي

المدرس الدكتور / اوراس جبار البدران

جامعة البصرة - كلية الفنون الجميلة

الفصل الاول

مشكلة البحث

تعُد البيئة من اهم العوامل التي تؤثر في حياة المجتمعات والافراد ويمكن القول ان البيئة تصنع الانسان وتحدد ميوله واتجاهاته وتشكل شخصيته الثقافية من خلال مؤثراتها المتعددة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية، والبيئة التي ترعرع في كنفها الانسان العراقي تتميز في غناها الثقافي وامتدادها الحضاري الموعل في القدم والذي يعد ارثا متاصلا في النفس، والثقافة العراقية تعمل بمثابة اللاشعور الجمعي الذي يوجه عمليات الثقافة والابداع على مختلف انواعه، وقد لعبت المتغيرات الكثيرة في البيئة العراقية والمؤثرات العقائدية والاجتماعية المختلفة دورها في صياغة الافق الجمالي والفني والفكري لدى المجتمع والفرد العراقي "لان البيئة الوسيط الذي ينمو فيه الفكر الانساني ويتغذى منه لذلك لايمكن فصل تأثيرالبيئة على الانسان في حياته اليومية، وفي طبيعة تفكيره وصياغة نتاجه المعرفي"^(١). يتم التعامل مع البيئة المحيطة من خلال حواس الانسان ومدرجاته نسقا يصل بمثابة الفضاء الثقافي العام الذي يفتح عليه خيال المبدع ويصبح نتاجه جزءا مضافا الى البيئة فما ينتجه المبدعون يتحول بدوره الى نمط حضاري يتوارثه الاجيال فيمثل بيئة ابداعية تعمل على رقد مخيلة الاجيال اللاحقة بابداعاتها. وقد اشتهر العراق القديم بعراقته واصالة فنونه وعلى راسها فن الفخار الذي نشأ في حاضنة تستخدم الطين كمفردة متوفرة في كل مكان حوله لصناعة احتياجاته ومنها الاواني الفخارية التي اشتهر بها الفن العراقي القديم " الانسان يستنبط مادته الاساسية من بيئته التي يعيش فيها،ولهذا فان علاقته بالبيئة هي علاقة كونية شاملة عبر عنها عبر تاريخه الطويل باشكال شتى تبلورت بالنتيجة في مجمل نشاطه الفني"^(٢). واستطاع الخزافون العراقيون على مر العصور اضافة ابعادا جمالية ودلالية على هذا الفن مما جعل منه حاملا معرفيا يضاهي فنون الرسم والنحت من ادخال الزخرفة العربية والحروف والرسوم المختلفة على الخزف وتواصلت هذه الانماط الابداعية حتى وصلت الى يد الخزاف العراقي المعاصر الذي مارس قدرا من الانفتاح الدلالي على المضامين والصياغات الفنية في

(١) الحلبي، منذر محمد سلمان، الدلالات الرمزية للاعمال الفخارية في العراق القديم، رسالة ماجستير، الفنون الجميلة، جامعة بابل، خزف، ٢٠٠٨م، ص ٢٨.

(٢) زهير يوسف حبي، الانسان والارض في ادب وادي الرافدين، مجلة افاق عربية، السنة الرابعة، العدد السادس، بغداد، ١٩٧٩، ص ٧.

الفن الخزفي العراقي المعاصر متأثراً ببيئته الحضارية والتي كانت بمثابة الحاضنة الثقافية التي الهمت مختلف الاتجاهات الحديثة في الخزف العراقي المعاصر ولعل دور البيئة لا يتوقف عند التنشئة الجمالية للفنان بل يتعداه الى تعديل ابعاد الافق الثقافي للجمهور والمتلقي والذي يتذوق هذه الفنون وهذا يعد بدوره عنصراً من عناصر التشجيع للفنان للعمل وفق ما تريده البيئة الاجتماعية التي يعمل من اجلها ، ويعد الخزاف العراقي المعاصر خالد العبيدي من ابرز الخزافين العراقيين الذين استلهموا البيئة في اغلب اعمالهم الخزفية ، ومن هنا يمكن تحديد مشكلة البحث الحالي بالتساؤل التالي.

(ما تأثير البيئة العراقية في اعمال الخزاف العراقي خالد العبيدي؟)

اهمية البحث والحاجة اليه

تأتي أهمية البحث الحالي من تناوله موضوع البيئة العراقية ومحاولة الخزافين العراقيين المعاصرين استثمار معطياتها كمرجعيات أولية لأعمالهم الخزفية. ومن هنا تتركز أهمية البحث الحالي بالاتي.

١- يعد هذا البحث دراسة علمية أكاديمية تتناول تأثيرات البيئة على الخزاف خالد العبيدي وكيف استطاع هذا الخزاف صياغتها بطابع فني خاص.

٢- على حد علم الباحثة سيكون هذا الموضوع إضافة بسيطة للمعرفة ضمن الاختصاص ومفيداً للدارسين والباحثين.

هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى الكشف عن تأثير البيئة في اعمال الخزاف خالد العبيدي.

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بما يلي:-

١- الحدود الزمانية:- الاعمال الخزفية للخزاف خالد العبيدي التي ظهرت في الفترة الزمنية بين عامي

٢٠٠٣/٢٠٠٨. وذلك بسبب غزارة الانتاج الفني الخزفي خلال تلك السنوات.

٢- الحدود المكانية:- الاعمال الخزفية التي تم الحصول عليها من مقتنيات الخزاف .

تحديد المصطلحات

الاثـر في اللغة //

((الاثـر بفتحتين مابقي من رسم الشيء))^(٣).

((ويقال اثرفي الشيء اي ترك فيه اثراً))^(٤).

((الاثـر هو الشيء المتحقق بالفعل ويعد حادثاً عن غيره))^(٥).

^(٣) الرازي ،محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، دار الرضوان ، حلب ، ٢٠٠٥م، ص ١٢.

^(٤) المعجم الوسيط، ١٩٧٢ ، ص ٥ .

^(٥) صليبيا، جميل: المعجم الفلسفي: ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١ ، ص ٣٧

الآثر اصطلاحاً //

((يعرف الآثر اصطلاحاً بعدة معاني منها كونه نتيجة وحاصل من الشيء ، ويعرف كونه علامة وهي السمة الدالة على الشيء، أو ما يترتب على الشيء))^(١).

الآثر اجرائياً //

"كل ما تلقية البيئة العراقية من مؤثرات على النتاج الخزفي العراقي المعاصر سواء كانت بيئة طبيعية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو تراثية"

الفصل الثاني

الاطار النظري

المبحث الاول // الفن والبيئة

البيئة هو ذلك الوسط الذي يتعرّع فيه الفكر الانساني ويتغذى منه حيث لا يمكن فصل الانسان عن بيئته وتأثيراتها عليه ، فهي تملي عليه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كيف يفكر وكيف يصوغ نتاجه الادبي والفني فهو يستنبط مادته الاولى من بيئته التي يحيا في كنفها وهي ايضا نظام متكامل يتألف من مجموعة العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تحيط بالانسان ويحيا في كنفها ويمكن من خلال ذلك ان نصوغ تعريفا اكثر شمولية ، فنقول انها الاطار الذي يعيش فيه الانسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء وماء ويمارس فيه علاقاته مع اقرانه من بني البشر ، فلولا وجود البيئة التي يمكن ان يعيش فيها الانسان والتي ساعدت على بقائه ، لما عاش الانسان ، فالقمر مثلا يمتلك بيئة لكنها غير ملائمة للعيش ولا يوجد فيها حياة لذا لم يتمكن الانسان من العيش وممارسة حياته ونشوء الحضارات والثقافات المتعددة فيه كالتى نشاة على الارض ، نتيجة لغنى بيئة الارض بمواردها الطبيعية وغلافها الجوي الملائم لنمو البشر ، فنمت المجتمعات وتطورت ثقافات فكرية ودينية متعددة ، اذن البيئة ليست موارد يتجه اليها الانسان ليستمد منها مقوماته الحياتية فحسب ، بل هي تشمل ايضا علاقة الانسان بالانسان وما يتضمنها من تقاليد وعادات واخلاق ودين وهي المكان الذي يضمنا وفضاءها الواسع يحتوينا ، فنحن نعيش محاطين ببيئات مختلفة منها البيئة الطبيعية والتي ممكن ان تتجزء الى بيئة صحراوية وبيئة بحرية وبيئة جبلية وبيئة معمارية ... الخ وبيئة اجتماعية التي تنقسم الى فروع منها البيئة الصالحة والبيئة الغير صالحة اجتماعيا والبيئة الثقافية والبيئة الدينية والمثولوجية والعقائدية على اختلاف اتجاهاتها وتقسيماتها فنحن نشعر بتأثيرات هذه البيئات علينا متمثلا في سلوكياتنا واخلاقياتنا وطريقة تعاملنا مع الآخرين ، فمن تعرّع في بيئة دينية اسلامية اصبح مسلما ، ومن تعرّع في بيئة فلاحية او قبلية سيطرت عليه هذه الروحية حتى وان

^(١) الحسنات، حامد خضير حسين ، أثر التنويم المغناطيسي في أداء التلاميذ في الرسوم التوضيحية، أطروحة دكتوراة غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التربية الفنية، ٢٠٠٨ م ، ص.

لم يكن فلاحا او قبليا وهكذا فالبيئة بهذا المفهوم " نظام متكامل يتألف من مجموعة العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تحيط بالانسان ويحيا بها"^(٧). ونتيجة لتأثيرات هذه العوامل مجتمعة يحدث في الفرد نوع من الاثارة والتفاعل مع كل مفردة بيئية ،كما ذكرنا سابقا البيئة الطبيعية والاجتماعية ،الاقتصادية ،النظم والعلاقات، التعلم ،المعتقدات الدينية ،هذه كلها مرتبطة بشكل وثيق مع بعضها ليكون البنية الكلية لعلاقة الفرد بالمجتمع وتلك العلاقة التي تكون في تطور دائم تتطور بتطور المجتمعات نفسها. وإذا اردنا البحث في البيئة من حيث صلتها بالعمل الفني وتأثيرها على الفنان نجد ان البيئة من العوامل المهمة التي تؤثر على الفنان بشكل كبير من خلال قدرتها على تعزيز مدركاته الحسية ، حيث تعد البيئة الملهم الاساسي للكثير من الفنانين سواء كانت البيئة الطبيعية ام الاجتماعية فهي تدعم افكاره وطريقة تذوقه للجمال الفني ، فالكل بيئة مقوماتها الجمالية وذائقتها الخاصة ، فابن المدينة يرى الجمال في البنايات الشاهقة وابن الريف يرى الجمال في الحقول الواسعة الخضراء النظرة "شكلت البيئة بمفهومها الطبيعي والاجتماعي اساسا في تميز الفنون بفعل تأثير عوامل البيئة والمناخ في ذوق الشعوب وابداعاتها"^(٨). لذلك نجد ان اثر البيئة يطبع العمل الفني بطابع واضح وعميق لان الفن في صميمه ظاهرة انسانية قد تنبعث من روحية الفنان نفسه لهذا يقول ايبوا "الفن يبدأ من الانسان ، ويعود الى الانسان"^(٩). فالفنان يحاول ان يترجم المؤثرات البيئية التي يدركها بحواسه ويعقله الى عمل فني بعد ان يتفحص ويتعمق في الحقائق البيئية لكي يستلهم كل ما هو جديد ويعدل ويضيف عليه ليكون رؤيته الخاصة، فهو بذلك لا يتفاعل مع البيئة فقط بل يصب بها احساسه الذاتية " الفن ليس هو البيئة ،وانما البيئة معدلة بفعل اندماجها في علاقات جديدة تتولد عنها استجابات انفعالية جديدة"^(١٠). لذا وجب عليه التعامل معها كونها الوسط الذي ينمو ويتربص فيه الفكر الانساني فتؤثر في سلوكه وطريقة تفكيره وعاداته وحتى صياغ نتاجاته الفكرية والفنية " ان تفاعل الكائن الحي مع بيئته يضطره دائما الى محاولة التكيف حتى يضمن لنفسه البقاء ومعنى هذا ان مصير الكائن الحي ومستقبله مرتبط بضروب التبادل التي تحدث بينه وبين بيئته"^(١١). فحاول التأقلم مع بيئته ،فترى ان انسان الكهوف صنع ادواته البسيطة عندما احتاجها في حياته اليومية ،كتطويعه للحجر الصلب لصنع الفؤس والسكاكين ،واخذ يحاكي ظواهر البيئة بشتى الطقوس والممارسات ،كالرقص والرسم على جدران الكهوف مما ادى الى ظهور الدين كنتيجة لتأثره بقواها المختلفة " ان ادوات العمل البدائية والرسومات والرقصات السحرية وكل ماله علاقة بحياته البدائية كانت الوسيلة المناسبة للتعبير عن صراعه مع الطبيعة من اجل ديمومة الحياة وفي هذه المرحلة ظهر الفن وقد عبر عنه الانسان بالاشكال

(٧) ناجي ابو رميلة ،البيئة والتنمية في الوطن العربي، عمان المؤسسة الاردنية، ١٩٨٠، ص ٥

(٨) جان برتملي، بحث في علم الجمال ،ت: انور عبد العزيز ،منظمي لوفاء، الجامعة المستنصرية ،المطبعة الصرية ،١٩٨٦، ص ٣٥. ٢

(٩) زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن، مكتبة مصر ،دار الطباعة ،بنت ،ص ٦١

(١٠) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، دار الطباعة للنشر، ١٩٦٦، ص ١٢٩

(١١) فشر، ارنتست، ضرورة الفن ،ت: اسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر ،١٩٧١، ص ٣٨.

والخطوط والالوان على جدران الكهوف^(١٢). كان الانسان البدائي يشعر ان الظواهر الطبيعية من برق ورعد وفياضانات وحرائق اقوى منه لذلك فكان لزاما عليه ان يقدم لها طقوس معينة ليخفف من حدة خوفا منها وكذلك بالنسبة للحيوانات التي كان يرسمها على جدران الكهوف ليستأنس بها .كان باعتقده السيطرة عليها بهذه الطريقة فحرص ان تكون الصورة مطابقة للاصل ،فكلما كانت مطابقة اصبحت حياته افضل،لانه مادام متمكن ومسيطر على البديل الذي رسمه قريب منه وامام عينه وبين يديه ليل ونهار فانه بذلك يستطيع السيطرة عليها في الحقيقة ومن هذا ندرك ان الانسان العراقي القديم كان الفن بالنسبة له وسيلة لمحاكاة ما يحيط به ليحقق وجوده ولم يكن للزخرفة او للتجميل. كما نشأت الفنون المختلفة عند الانسان العراقي القديم ايضا بتاثير البيئة سواء كانت الطبيعية او الاجتماعية او السياسية او الدينية، فاصبح الفن العراقي القديم ماهو الا انعكاس لهذه التاثيرات البيئية المختلفة" اذ يدلنا الفنان جزئيا عن كيفية حياة الناس في العصور الماضية،كتمثيل لتجاربهم المادية والنفسية والافكارهم ومطامحهم"^(١٣). ونلاحظ ارتباط الفنون المختلفة كالعمارة والنحت والرسم والخزف مع بعضها بحيث تؤثر الواحدة على الاخرى ، وقد تسيطر احداها على الاخرى حسب المعطيات البيئية المختلفة المؤثرة ،ويمكن تقسيم البيئات التي اثرت بشكل كبير بالانسان العراقي القديم ، هي البيئة الطبيعية والتي سيرت معظم اعماله الفنية ، فمثلا شاعت الاعمال الفنية الضخمة في نينوى بسبب وفرة الاحجار الكبيرة في تلك المنطقة(كالگرانيت والبازلت)، بينما شاعت اللقى الفخارية الطينية في المناطق القريبة او المحيطة بالانهار بسبب وفرة الطين وقلة وجود الحجر اولربما معدومة نهائيا. مما تقدم ترى الباحثة ان البيئة العراقية قد اثرت بشكل متميز في الفن العراقي القديم على مر العصور، اذ لم نجد عصرا منها لم يتاثر الفنان بها ،فيجسد هذا التاثر في اعماله الفنية،ولم نجد عصرا من العصور العراقية القديمة لم يزدھر فيه الفن ،بل ان الفن قد نشأ مع نشأة الانسان نفسه" ان عمر الفن يوشك ان يكون من عمر الانسان، فالفن صورة من صور العمل،والعمل هو النشاط المميز للجنس البشري"^(١٤)، فالمتتبع للفن العراقي يجده ممتدا بعمق من انسان الكهوف الى وقتنا الحاضر كان ومازال الفنان العراقي يبدع اعماله الفنية من وحي بيئته الخصبة طبيعيا وفكريا وتاريخيا، ويدافع المؤثرات البيئية العراقية المختلفة.

(١٢) الحلبي، منذر سلمان ،الدلالات الرمزية للاعمال الفخارية في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بابل، الجميلة،خزف،٢٠٠٨م،ص٥٨.

(١٣) مايرز،برنارد، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها، ت:اسعد المنصوري، مسعد القاضي،م: سعيد محمد خطاب، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦، ص١٢.

(١٤) فشر،ارنست، ضرورالفن،ت: سعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،المطبعة الثقافية،١٩٧١،.

المبحث الثاني // البيئة من وجهة نظر فلسفية

الفن قائم على التعاطف الذي يتولد بين البيئة وذاتية الفنان ، هذا ما جعل اراء الفلاسفة مختلفة في تفسير ماهية البيئة وتأثيرها على الفن ، كلا حسب ما يتوافق مع منهجه الفلسفي العام ، فعلى سبيل المثال الفيلسوف (افلاطون) الذي كان يرى ان الفن يجب ان يتجاوز المدرك البيئي المحسوس ليصل الى عالم المثل الخالصة التي تقترب من الروح السامية " ان الشاعر او المصور يستطيع ان يخلق كل النباتات والحيوانات ونفسه والسماء والالهة ، فكل ما يحتاجه ان يأخذ امرأة ويديرها في جميع الاتجاهات"^(١٥). اي ان الفن بنضره يتجه الى الشيء المدرك المحسوس ويعكسه كما تعكسه المرأة لكنه يجب ان يتجاوز هذا المدرك في المراحل المتقدمة ليبرعن شيء سام مثالي خارج مجال التصورات البشرية. اما ارسطو فلم تكن البيئة لديه مجموعة الكائنات المكونة للعالم بل هي " القوة الباطنية المحركة للكائنات البيئية ، حيث ينشد الفن هذه الصورة لاكمال الطبيعة بهذه المحاكات واذا ما قصرت الطبيعة في تحقيق الصورة امكن للفن ان يتدخل لتحقيق ما فشلت في تحقيقه"^(١٦). لان الطبيعة تنتج مثيلاتها لكن الفنان يضيف ويعدل على نماذجها بحيث تبدو غريبة عن النموذج البيئي الاصلي وبذلك يكون ارسطو قد انزل المثل الافلاطوني من عالمه السماوي الى الواقع معتمدا في ذلك على العقل لكشف الواقع وطرح الحلول المناسبة لسلبياته ومشاكله ليقدّم البديل الأكثر تطورا والمستمد ايضا من البيئة ليسموها بها عن الواقع لتكون بداية للخلق الفني. اختلفت ايضا وجهات نظر الفلاسفة المحدثين ، فالفيلسوف (ديكارت) يرى ان البيئة لا متناهية رغم انها تعود الى طبيعة واحدة ، فالبيئة على اختلاف تقسيماتها في رايه تشبه كما يقول "اله ضخمة ركبت اجزائها على نحو معين كما في تراكيب اجزاء الاله التي يصنعها الانسان الاغراضه"^(١٧). اما الفيلسوف (كانت) صاحب نظرية المثل العليا ، فكان اهتمامه بالبيئة اهتماما علميا عقليا ليستطيع من خلال دراستها دراسة المجتمع ككل الى جانب الغور في اسرار البيئة الطبيعية ، فدرس في الطبيعة وفي الكيمياء وفي البايولوجيا وكل العناصر المكونة للبيئة ووظائفها وسيرة الانسان وحركته الاجتماعية والثقافية وتطورها ، وهذا لربما بتأثير من فلسفة افلاطون والمثل العليا الافلاطونية ، فقد كان يرى كانت ان ارقى انواع الفنون هي الموسيقى الخالصة التي لاتصاحبها غناء لانها حسب اعتقاده تحاكي الاصوات الموجودة في الطبيعة لذلك فهي تدخل الروح وتطهرها من اثامها وشرورها. بينما (هيجل) يقرر ان الفن الجميل ليس تقليد الطبيعة ، بل على الفنان ان يضيف عليها بما يملكه من الاحاسيس الروحية ليمتزج مع المؤثرات البيئية التي احسها الفنان وتوظيفها في صياغة عمله الفني ، فالجمال الذي يريده هيجل هو "الجمال الفني وليس الطبيعي ، لان الجمال الفني ارفع مكانة من الجمال الطبيعي لانه من ابداع الروح ونتاج الحرية، وما هو نتاج الروح يكون اسما من الطبيعة"^(١٨). وشاطره في رايه

(١٥) زنكانة ، هديل بسم ، المدخل في علم الجمال ، الاردن ، ١٩٩٨ ، ص ٢٠.

(١٦) ، اميرة حلمي مطر ، فلسفة الجمال من افلاطون الى سارتر ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٣٨.

(١٧) العمر ، عبد الله العمر ، فكرة التطور في الفلسفة المعاصرة ، الكويت ، ١٩٧٨ ، ص ٢٣.

(١٨) الزبيدي ، جواد ، الظاهراتية في الرسم الحديث ، ص ٢٣.

الفيلسوف (شوبنهاور) فيلسوف الارادة الذي قال " ان الفنان يستطيع ان يتوقع ما تسعى البيئة اليه في الافراد ،لذا يضيف الفنان بعمله ماقد فشلت البيئة في تحقيقه"^(١٩). فالفن برأيه البيئة مضافا اليها مايملكه الفنان من قدرة على توظيف ملكة الخيال فيسقطها في العمل الفني الذي يحقق جمال غير واقعي. ان الفن وليد تامل حدسي خالص ،هذا ما صرح به تكرارا ومرارا الفيلسوف (برجسون) حيث يقوم الفنان بادراك مكونات البيئة ادراكا مباشرا فيحدث حينها انفعالا وجدانيا لياتي العمل الفني بدون غاية او منفعة بل تجربة صوفية صرفة بعيدة عن الواقع. وقد اكد (تين) من خلال نظريته بارجاع الفن الى عناصر محددة وهي البيئة والعصر والجنس ،مؤكد ان الفن وليد المجتمع ،لذا نرى تين يقرر بان البيئة هي التي تجلب الفن او تذهب به ، وهذا مايؤكد بقوله " لكي نفهم اثرا فنيا او مجموعة فنانين يجب ان نشمل بكل دقة الحالة العامة لروح العصر والتقاليد التي تعود هذه الفنون ليها"^(٢٠). مع اختلاف اراء الفلاسفة في تفسير البيئة واثرها على الفن الا انه نجدهم يدركون اهمية البيئة باعتبارها كما ذكرنا المنبع الاول للالهام وذلك الفضاء الواسع الذي يستمد الفنان منه مادته ،فالالوان التي يستخدمها موجودات بيئية ،الطين ،الحجر،الخشب...الخ،كلها موجودات بيئية،التكوينات التي يستقيها من محيطه بيئية سواء كانت تراثية ام عقائدية ام مثيلوجية ام طبيعية كلها موجودات بيئية يستطيع الانسان توظيفها لخدمته سعيا منه الى حياة افضل واكثر جمالا وجاذبية.

المبحث الثالث // البيئة في الخزف العراقي المعاصر.

يعتبر فن الخزف واحدا من اهم انواع الفنون القديمة والحديثة التي عرفها الانسان منذ العصور الاولى في تاريخ البشرية، وعلى الرغم من ذلك فان هذا الفن لم يندثر ولم ينتهي وانما ظل يستجيب للتطورات الحياتية ويتطور معها ، فحفظ لنا اولى تجارب الانسان واعطى صورة واضحة عن الرؤية الفلسفية والدينية والاجتماعية والمثيلوجية والمعطيات البيئية التي تحيط بالانسان على مر العصور التاريخية حتى السحيفة منها في القدم. اما في الوقت الحاضر اصبح فن الخزف فرع مهم من فروع الفنون الجميلة، يحمل في طياته قيم فنية وجمالية. ارتبط فن الخزف في العراق باسماء برزت في سماء الفن العراقي المعاصر كالخزاف القبرصي فالنتينوس الذي كان متأثرا في بداياته بالتراث اليوناني ، الا انه سرعان ما تآثر بالبيئة العراقية المتمثلة بالموروث الرافديني والاسلامي ، فنجدته قد وظف في اعماله معطياتها ، كاللون الشذري وخاصة تكرار الوحدات الزخرفية والتوريقات النباتية والقوس الاسلامي ، فضلا عن الخط العربي. ومن الخزافين العراقيين المعاصرين الذين برزوا في الساحة الفنية الخزفية (سعد شاكر) الذي اصبح اول مدرس عراقي يدرس في المعهد بعد تخرجه منه ، تميزت اعماله الخزفية بتأثيرات البيئة العراقية عليه فنرى خزفياته " تبدو مستوحاه من الطبيعة او الجسم الانساني المحور ومستلهمة من عضويات الاشكال النباتية ومن القواقع والمحار والصخور الطبيعية"^(٢١). فاعماله مستقاه من البيئة البحرية والانسانية والطبيعية ومن البيئة

(١٩) اميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال اعلامها ومذاهبها، ص ٨٠

(٢٠) ريتشارد، اندريه ،النقد الجمالي، ت: هنري زغيب، منشورات عويدات ،بيروت ،لبنان، ١٩٧٣، ص ١٠٠

(٢١) الراوي،نوري، تأملات في الفن العراقي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط ١٩٩٣، ص ٦٣.

الموروثية الاسلامية مجموعة هذه التأثيرات كونت كيانا اخر غير مانراه يتالف من عدة عناصر متباينة ومتضادة احيانا ليجمعها موضوع متكامل ، فالخزاف سعد شاكر استطاع استلهام الاصاله الشرقيه ومؤثرات الغرب، لكن دون ان يقتلع من جذوره اي يملك طاقة ابداعية وبصورة لاشعورية تبقى راسخة داخل النفس لتظهر في لحظة من لحظات الخلق الفني تاركا لافكاره التي تكونت بفعل تاثيرات المحيطه به من موجودات مادية وفكرية ويحولها الى اشياء جميلة وبروح معاصرة، وهذا ما عبر عنه بقوله "(لا بد للفنان ان يعي عالمه المرئي وغير المرئي ويجمع بين المهارة والخيال والتعبير) فاعماله الفنية على غرابتها اول وهلة تبدو لها حياتها الذاتية الخاصة فهي مدينة لهذه الحيوية الى مئات العناصر المشتركة من قوانين الطبيعة"^(٢٢). ومن الاعمال الخزفية التي انتجتها الذهنية الابتكارية لسعد شاكر وبدافع التأثيرات البيئية المختلفة عليه هو شكل رقم(١). اهم مايلفت النظر الى العمل استخدامه للون الشذري الذي شاع في الحضارة الاشورية والبابلية مع استقدامه لبعض الاشكال البيئية كاجنحة الطيروساق شجرة .ومن الخزافين المعاصرين الذين كان للبيئة العراقية الاثر البالغ في اعمالهم الخزفية ، الخزاف شنيار عبد الله الذي استلهم بقوة مفردات البيئة الطبيعية الموروثية في اعماله اذ لم تستطع رياح التأثيرات الاوربية ان تغنيه عن اللجوء الى بيئته العراقية فجاءت اشكال متنوعة المرجعية حيث اقتبس بعضا منها من البيئة الاسلامية وبعضها من الرافدينية والبيئة والشعبية والطبيعة العراقية، وهذا ما نلاحظه في احد اعماله الذي حاول فيه المزوجة بين الاشكال وتحت مختلف التأثيرات البيئية، شكل رقم(٢). تمثل الجدارية موضوعاً مستمداً من البيئة الطبيعية البصرية ، ومن هنا جاءت تسمية العمل الفني بـ(البصرة). حاول الخزاف نقل صورة حية معتمداً في أسلوبه على التبسيط والتركيز على بعض العلاقات البصرية في تاسيس موضوعه الفني ، من خلال أبرز الرموز ، كالنخلة التي كانت وما زالت رمزاً للشموخ والعطاء العراقي ، والقارب ذلك الرمز البصري المعروف عند سكان الأهوار ، والشناشيل المستخدمة في البيوت القديمة ، فضلاً عن حركة المياه وأنسابها بحرية وحيوية تعبر عن تدفق الخيرات والنعم بشكل مستمر ،جميعها مفردات تشير ألى ما تمتاز به البيئة البصرية من قيم جمالية . توصلت الخزافة عبلة العزاوي من خلال امتزاج التأثيرات البيئية ورويتها الخاصة الى ابتكار اشكال جديدة وغير مالوفة " ان اهتمام الخزافة بالمفردات المحلية البيئية من اللون واشكال وظفتها في اعمالها الخزفية جاءت لتعلن عن الخط والاتجاه الذي التزمت به انه نسيج يتخذ من المناخ البيئي العراقي الصميمي خاصية مميزة لخزفياتها"^(٢٣). رغم دراستها لفن الخزف في بغداد ومن ثم باريس الانها في البداية انصب اهتمامها على ابتكار اشكال خزفية تميل الى الحداثة وذلك نتيجة تاثرها بالافكار الغربية ثم ما لبثت ان عادت ووقعت تحت تاثيرات بيئتها العراقية وبهذا الصدد تقول الخزافة:(ان زيارتي الكثيرة الى المتحف العراقي اثرت بي وجذبني نحو الفن القديم الذي كنت بدأت به اعمالى الاولى،اي قبل ذهابي الى فرنسا وقد لاقت تلك الاعمال اعجاب اساتذتي ... لكنني للأسف تركتها متأثرة بالقطع التي وجدت هناك وقد كانت جديدة وغريبة فتعلقت بها بالرغم

^(٢٢)الهجول، محمد، تجربة فن الخزف العراقي ونزعة التجريب وانساق التزيين

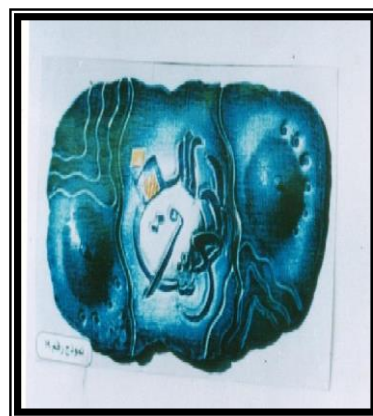
^(٢٣) مقال بقلم خليل حيدر،مجلة الف باء، العدد٣٤٨، اذار ، دار الجماهير بغداد،ص٤٢ .

من الحاح اساتذتي بضرورة التمسك ببيئتي ومعطياتها ، وبعد الاعمال والتجارب العفوية والبدائية بدأت بالبيئة التراثية وبدأت ابحث في الشوارع والاسواق الشعبية والقرى لتأمل البيئة المحيطة بي ودرستها ثم انتقلت الى البيئة الاسلامية حيث كانت تاثيراتها اكبر من الادوار الاخرى^(٢٤). وهذه التاثيرات واضحة كما في الشكل رقم (٣) وهي جدارية خزفية تكويناتها الشكلية تتمازج بين تاثيرات التراث الاسلامي والسياسي المتمثل بالسيف والترس باعتبارهما الاداة التي ساهمت بنشر الدين الاسلامي من خلال الفتوحات الاسلامية المتعددة ، وتاثيرات البيئة الدينية واضح من خلال الايات القرآنية التي كتبت بشكل دائري على الترس (سورة الفلق) واسم الجلالة (الله). لم نستطع ان نغفل عن خزاف له مكانته في مسيرة النهوض بالفن الخزفي العراقي المعاصر (جواد الزبيدي)، فهو كسابقه من الخزافين الذين تاثرو بشكل كبير بالبيئة، فحاول صياغة اعماله بطريقة تؤثر هي الاخرى على المتلقي ويدرك انها تمخضت من تاثيرات رافدينية واسلامية وطبيعية وفكرية مع اصطباغها بصيغة الحداثة ومنها الشكل رقم (٤) صدر امرأة، نلاحظ تكوينان بارزان نفذتا بطريقة الضغط من الخلف ليمثلا رمز الامومة كمفردة بيئية انسانية ، فضلا عن استعارته لمفردات البيئة الاسلامية المتمثلة بالحروف، والخطوط المتعرجة التي توحى الى مجرى الانهار المنابع والمصببات من البيئة الطبيعية. اما الخزاف ماهر السامرائي تميز باعماله الخزفية التي فيها تاثيرات بيئية مختلفة وتوظيفها بطريقة محدثة وفي عمل خزفي للفنان ماهر السامرائي نفذه بأسلوب تعبيرى يوحى بالاستمرارية والتطور في الحياه واستلها من التجارب ومسيرتها الحضارية شكل رقم (٥)، (المحارب) من خلال العمل حاول المزاجية بين البيئة السومرية والاسلامية ، عند الملاحظة الدقيقة للخط المسماري والخط العربي الاسلامي (الكوفي) الذي وظفه الخزاف في العمل لأكتشفنا أن الخط الكوفي هو سليل الخط المسمار، فضلاً عن أن شكل الجدارية مستلهم من الحضارة الاسلامية والذي تمثل بالمحارب الذي يخرج من الجدار في المساجد ويستخدم للصلاة لذلك نفذه بأسلوب مقوس حافته العليا تبدو كأنها مهدمة وأعيد لصقها مرة أخرى الى الجدار . عبر مسار هذا المبحث استشفت الباحثة ان للبيئة العراقية تاثيراتها على النتاج الخزفي العراقي المعاصر ، فقد تراوحت القطع الخزفية العراقية المعاصر في استلها مفرداتها من البيئة الطبيعية او التراثية سواء رافدينية او اسلامية او البيئة الاجتماعية ساهمت هذه المؤثرات مجتمعة في بلورة الذهنية الابداعية للخزافين المعاصرين في ابتكارهم اعمالهم الخزفية ، فهم يعملون على تجسيد الظروف التي تميزها لهم البيئة ويحاولون اسقاط افكارهم تلك في منجزاتهم الخزفية من خلال تواصلهم مع البيئة الامر الذي يسمح لهم باستيعاب معطياتها وعواملها ، لان التحدي الاول للفنان هي البيئة منذ القديم^(٢٥).

(٢٤) الربيعي، د. نيراس احمد، آجاهات، صحيفة اسبوعي تعنى بشؤون الثقافة والمجتمع، ص ٤ www.itttigahat.com

(٢٥) العبيدي، محمد جاسم، الاشكال النحتية على سطوح الانية الفخارية الرافدينية والخزفية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ،كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٢م، ص ٦٥

فنون البصرة ٢٠



مؤشرات الإطار النظري

- ١- البيئة نظام متكامل يتألف من مجموعة عوامل طبيعية واجتماعية واقتصادية وحضارية تحيط بالانسان ويحيا في كنفها
- ٢- ان علاقة الانسان بالمجتمع والبيئة الثقافية المحيطة به تصوغ مجمل التقاليد والعقائد والعادات والاخلاق التي يندمج فيها الفرد ويتطبع بها
- ٣- ان سيرة الانسان في الحياة هي مجموعة من العمليات التأثير والتأثر المتبادل بين الانسان وبيئته وهي التي تنظم اساليب حياته ومعرفته
- ٤- يمكن لمتغيرات البيئة ان تكون ذات اثار سلبية او ايجابية على حياة الفرد وافكاره ونتاجه الفني.
- ٥- ان الانسان قادر على ان يضيف الى الطبيعة ما ينقص فيها او يمارس بعض التعديلات الفنية والجمالية على البيئة التي يعيش فيها
- ٦- يحاول الانسان اضافة افكاره الخاصة على الصور والنماذج الطبيعية لتحميلها لمدلولات فكرية او روحية غائية عنها ،وهنا تصبح وظيفة الفن هي نوع من التسامي على الواقع المباشر
- ٧- يمكن اعتبار الجمال الفني في مكانه اعلى من الجمال الطبيعي لانه في صميمه ابداع روحي ونتاج فكري ملون بعامل الحرية الانسانية
- ٨- تنعكس مؤثرات البيئة بعض الاحيان بصورة مباشرة على العمل الفني واحيانا اخرى تؤدي الى انفعالات وجدانية تنتج ابداعا جماليا يظهر في صورة الجمال الخالص الخالي من المنفعة ويتسم بالغائية.
- ٩- ان هناك مؤثرات بيئية غير محسوسة تتجاوز الواقع المباشر مثل مؤثرات العصر،الجنس،السلالة وكذلك للاشعورالجمعي التي تعد عوامل هامة في صياغة الصورة الابداعية
- يعمل الفنان بصورة قصدية على تطويع المادة للصورة الذهنية التي يريد ابداعها ومقدار سيطرة الصورة على المادة هي التي تحدد قيمة العمل الفني في احيان كثيرة
- ١١- تميز الفنان بقدر عالي من الحساسية تجاه المواقف الابداعية فهو قادر على تصور المؤثرات البيئية حتى وان كانت من خارج بيئته ويصورها في عمله الفني او يستطيع استشراف المستقبل في عمله باعتباره حاضرا ويمثله في صورة الواقع
- ١٢- هيئة البيئة الطبيعية في العراق القديم والمعاصر قدرا محدودا من الخامات التي في متناول الفنان وبذلك صار مضطرا الى العمل بتأثير مباشر من البيئة
- ١٣- يزخر النتاج الفني المعاصر للخزف العراقي باشكال بيئية تعددية ملازمة للفن العراقي ويتم احياءها بشكل متواصل باعتبارها جزءا من البيئة التاريخية والحضارية والثقافية التي يعيشها الفنان.

الدراسات السابقة //

من خلال البحث المكتبي عثرت الباحثة على رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل والموسومة (دور البيئة في تنوع أنماط فخار العراق القديم) للباحث (حسام صباح) حيث تناول البحث السابق دور البيئة في تنوع أنماط فخار العراق القديم وعلاقة البيئة بالمنجز الفني الفخاري وتنوع أنماطه في العراق القديم وتضمن البحث أربعة فصول: غني الأول منها بالإطار المنهجي للبحث، وأحتوى على مشكلة البحث التي تم فيها تسليط الضوء على مدى تأثير البيئة على المنتج الفني الفخاري، وعلاقة البيئة بتنوع أنماط المنتج الفخاري في العراق القديم، فضلاً عن أهمية البحث والحاجة إليه، وهدف البحث المتمثل بـ: تعرف دور البيئة في تنوع أنماط الفخار في العراق القديم، فيما أقتصرت حدود البحث على دراسة الفخاريات من المستوطنات الزراعية الأولى إلى نهاية العصر البابلي الحديث للعراق القديم. وقام الباحث بتحديد بعض المصطلحات وتعريفها أما الفصل الثاني فقد تضمن الإطار النظري الذي احتوى على ثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول: البيئة في الحضارات العراقية، وتم تسليط الضوء على البيئات المتنوعة ذات (التراكيب السكانية، التنظيم السياسي، المعتقد الديني، والناحية الاقتصادية)، فيما غني المبحث الثاني بـ: النمط في الفن من خلال استعراض النمط الأسلوبى وآليات اشتغاله في الفن بصورة عامة. أما المبحث الثالث، فقد تناول فن (العمارة، النحت، الأختام، الفخار) وصولاً إلى المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري. وانتهى الفصل الثاني بالدراسات السابقة فيما اختص الفصل الثالث بإجراءات البحث، وقد ضمن الباحث فيها مجتمع البحث بحصره بـ(٩١) أنموذجاً من أصل (٣٢٤) أنموذجاً. وحصرت عينة البحث بـ(١٦) عينة (أنموذجاً) وقام الباحث بتحليلها على وفق المنهج الوصفي التحليلي وعني الفصل الرابع بأهم النتائج والاستنتاجات والمقترحات والتوصيات وقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج أهمها:

- ١- ينشأ التعبير في أشكال الثقافة من البيئات المتصلة بها والمتباينة، سواء أكانت مادية أم فكرية.
- ٢- ظهور الأعمال المشتعلة على موضوعات تتعلق بالاحتفالات كالعزف على آلات موسيقية تأكيد تجاوز الارتباط فيها من بعدها الديني إلى الاجتماعي والذي تفرضه طبيعة البيئة بجانبها الديني والاجتماعي.
- الان الدراسة الحالية أخذت على عاتقها دراسة اثر البيئة على الخزف العراقي المعاصر ، اذ لم تقترب الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة بشكل فعلي ، لان الدراسة السابقة درست تنوع انماط الفخار من اثر البيئة الرافدينية القديمة بينما البحث الحالي تمت دراسة كل انواع البيئات وعلى مختلف العصور بشكل مبسط ومختصر بما يتلائم ومجريات البحث الحالي وتتبع تاثيرات هذه البيئات على النتاج الخزفي العراقي المعاصر

منهج البحث //

اعتمدت الباحثة في تحليل عيناتها على المنهج الوصفي في استقراء وتحليل محتوى العمل الفني.

اداة البحث //

اعتمدت الباحثة على الملاحظة كأداة لوصف وتحليل نماذج عينة البحث بعد الاطلاع على المؤشرات العامة للدراسة النظرية المرتبطة بمادة البحث ،وبشكل يغطي اهداف البحث في الكشف عن تاثير البيئة في اعمال الخزاف خالد العبيدي.

مجتمع البحث //

شمل مجتمع البحث الحالي الاعمال الخزفية العراقية المعاصر والتي تم حصرها بـ(٢٠) عمل خزفي (اواني خزفية،منحوتات خزفية، جداريات خزفية)، والتي حصلت عليها الباحثة من مقتنيات الخزاف .

عينة البحث //

تم اختيار عينة البحث والبالغ عددها (٤) نماذج بطريقة قصدية للخزاف العراقي خالد العبيدي ضمن المدة الزمنية محصورة ما بين ٢٠٠٣م / ٢٠٠٨م وقد تم اختيارها وفقاً للمحددات الاتية

- ١- وجدتها الباحثة ضمن المدة الزمنية التي حددت في حدود البحث اي بين عامي(٢٠٠٣/٢٠٠٨).
- ٢- حرصت الباحثة على التنوع في اختيار النماذج ،فضلا على وضوحها واستبعدت النماذج المتشابهة والغير واضحة

فنون البصرة ٢٠

النموذج (١)

اسم العمل: التفاتة امرأة بابلية

القياس: ٤٧×٢١

العادية: مقتنيات الخزاف

سنة الانجاز: ٢٠٠٣



وصف تحليل النموذج.

العمل الخزفي يمثل هيئة امرأة نفذت بطريقة تحمل في طياتها لمسات حداثوية تنم عن مخيلة غزيرة يتمتع بها الخزاف خالد العبيدي ، فقد زواج بين الشكل الانثوي والحروف العربية من خلال توظيفها على منطقة الصدر وباقي الجسم ما عدا الجهة اليسرى من العمل تركها خالية من تكوينات غير كونها شكلا لجدار منحنى ، في اعلى العمل علفت قلادة تحمل مدالية شذرية اللون ، من خلال الملاحظة البصرية للعمل ندرك ان الخزاف وقع تحت تاثيرات بيئية مختلفة منها البيئة الرافدينية المتمثل بالشكل العام حيث جسدت المرأة كثيرا في الفن الرافديني بمختلف الاشكال باعتبارها رمزا للخصب وديمومة الحياة ، فضلا عن المدالية الشذرية حيث كان اللون الشذري يبعد الروح الشريرة حسب المعتقدات البابلية ، والعمل خضع ايضا لتاثيرات البيئة التراثية الاسلامية من خلال توظيفة للخط العربي على طول الشكل ، اما شكل الجدار فلربما اراد الخزاف الاشارة به الى جزء من الجسم هو الضهر الذي يستند عليه الجسد مع محاولة الربط بينه وبين الحائط للتعبير عن بحث المرأة عن سند لها على مر العصور وهذا له تاثيرات اجتماعية وسياسية ايضا ، فالكثير من النساء اليوم يعشن بلا سند او دعامة تحميها من مصاعب الحياة واهوالها ، لون العمل بالبني دلالة على التربة الطينية التي يتمتع بها بيئة العراق ، العمل يحمل في طياته قيمة جمالية ومخيلة مبدعة تمكنت من توظيف عدد من التاثيرات في عمل خزفي واحد باسلوب معاصر .

النموذج (٢)

اسم العمل: كوديا واشواك الاحتلال

القياس: ٣٥ × ٢٨

العادية: مقتنيات الخزاف

سنة الانجاز: ٢٠٠٤



وصف وتحليل النموذج

الخزاف خالد العبيدي استلهم في اعماله الخزفية اشكالا استقدمها من البيئة الموروثة الرافدينية، فالنموذج الحالي يجسد تمثال الملك كوديا نفذه بواقعية وحرفية من ناحية الشكل واللون ايضا، فضلا القاعدة لتي تمثل السلة المصنوعة من سعف النخيل (الخوص)، استشفت الباحثة من خلال الملاحظة البصرية للنموذج ان الخزاف وقع تحت تاثير البيئة الرافدينية المتمثل بتمثال الملك كوديا الذي صنف من اشهر التماثيل الرافدينية القديمة والذي يحمل في طياته الكثير من المعاني الدينية والانسانية السائدة في ذلك العصر، ووقع تحت تاثير البيئة الرافدينية والشعبية من خلال السلة التي تصنع من الخوص لحفظ الثمار والتي بدأ صنعها الانسان القديم واستمرت حتى وقتنا المعاصر في المناطق الريفية، حاول الخزاف ربط الماضي بالحاضر من خلال هذا الشكل، ومن خلال العنوان نستشف هذا الربط ايضا فالربما اراد التعبير عن واقع العراق السياسي الذي لم يحظ كغيره من البلدان بالاستقرار، فقد عانا من الحروب والاحتلالات المتعددة، فعبّر عن تاثر الخزاف بالواقع السياسي الحالي وربطة بالواقع السياسي في الماضي من خلال العمل الخزفي والتذكير بان بلادنا كانت في الازمان السحيقة متربعة على عروش الامبراطوريات العظيمة انذاك اما الوقت الحال فتغيرت الاحوال اصبحنا من يتربع علينا الاحتلال بكل اشكاله.

النموذج (٣)

اسم العمل: شهيدان بنفس العقيدة

القياس: ٤٨×٣٠

العادية: مقتنيات الخزاف

سنة الانجاز: ٢٠٠٧



وصف تحليل لنموذج

عمل خزفي ذو قاعدة مستديرة ليتسع متنه الى دائرة اكبر حيث تنغلق الفوهة لتكون فوهتين على شكل على فخاريتين مختلفتا التشكيل، الجزء الاسفل من المتن نفذ على شكل هلال محرز اما الجزء الاوسط فملئ بالحروف العربية بطريقة متناسقة مبدعة واعطا الخزاف لرقبة العمل الزخرفة المحززة ايضا ليعطي بذلك ملابس متعددة ممتعة للنظر، العمل يحمل في طياته تاثيرات البيئة الدينية الاسلامية والمتمثل بالهلال الرمز المعروف عند المسلمين، فضلا عن الكتابات العربية وهذا ايضا يخضع للتاثيرات البيئية الاجتماعية، الانتين الفخاريتين هن ضمن التاثيرات الرافدية والشعبية حيث عرفت هذه الاعمال في الفن الرافديني والشعبي كاداة تستعمل للاغراض اليومية وحفظ السوائل من خلال اسم العمل تستشف الباحثة ان الخزاف حاول ان يزاوج بين تاثيرات البيئة الدينية والعقيدة الاسلامية السحاء وبين المجتمعات العربية وصراعها مع التطرف الديني السائد بكل طوائفه، فمثل صورة الشهادة بشهيدان استشهدا على نفس العقيدة السحاء دليلا على تاثير البيئة السياسية على الخزاف.

النموذج (٤)

اسم العمل: تضحية شهيد

القياس: ٢٧ × ٢٤

العادية: مقتنيات الخزاف

سنة الانجاز ٢٠٠٨



وصف وتحليل النموذج

يحمل العمل في طياته الكثير من التأثيرات البيئية فمن خلال الشكل البيضي اراد الخزاف به الإشارة الى البيضة ،ندرك استلهامه هذه المفردة باعتبارها مصدر للتكاثر عند الطيور،فضلا عن ان شكل الرحم عند المرأة بيضوي والذي يمثل رمز للولادة والخصب وهذا كله له تأثيرات بيئية طبيعية ،فضلا عن تأثيرات البيئة الرافدينية التي كانت تهتم بعناصر الخصب والولادة الا ان الخزاف خالد العبيدي وظفها بطريقة حداثوية،مع استلهامه لمفردات طبيعية اخرى منها الشكل الانساني المبتور الاطراف والرأس دليلا على استلهامه للبيئة الاجتماعية والسياسية وتجسيده للشكل البشري بطريقة تعبر عن معاناة انسان هذا العصر في ضل الحروب والدمار الذي يعيشه العالم اليوم، ونستشهد بذلك من خلال اسم العمل فصورة الشهيد المبتور الاطراف اصبحت من الصور السائدة في وقتنا الحاضر ،فضلا عن ستلهامه لمفردات من تأثير البيئة التراثية منها تأثيرات البيئة الرافدينية المتمثل بالخط المسماري وبعض الرموز التي ظهرت في الفن الرافديني الذي نفذه الخزاف في الجهة اليمنى من العمل،مقابل ذلك في الجهة اليسرى من العمل نلاحظ تأثيرات البيئة الاسلامية والمتمثل بالخط الاسلامي،قاعدة العمل دائرية الشكل مع استخدام الخزاف اللون وقعت تحت تأثير البيئة الطبيعية كتلوين الشكل الانساني الذي اعطا انطباع بلون التراب باعتبار ان الانسان خلق من تراب ويعود اليه،والجهة اليمنى لونت باللون البني دلالة على البيئة الطينية التي تسود اغلب مناطق العراق،وحتى تلوين باقي اجزاء العمل له تأثيرات بيئية لبعض المناطق في العراق التي تمتع طينتها باللون غامقة، في الجهة اليمنى من الاعلى وظف شكل انية فخارية كانت هذه الاعمال سائدة في الفن الرافديني والاسلامي وحتى في التراث العراقي الشعبي ، من خلال ما تقدم ترى الباحثة ان الخزاف خالد العبيدي استلهم مفردات بيئية متعددة الا انه اضاف عليها من مخيلته الخصبة ليكون اشكالا ذات سمات حداثوية.

النتائج

- ١- خضعت كل الاعمال الخزفية في العينة المختارة الى تأثيرات بيئية متعددة ، منها تاثيرات البيئة الطبيعية ومنها الجغرافية او التراثية او الثقافية حيث تضافرت كل هذه البيئات في التأثير على بلورة النتاج الخزفي للخزاف خالد العبيدي من خلال تأثيرها المباشر على الخزاف الذي وجد في بيئته العراقية مجالا خصبا لاستلهاهم افكاره ومن ثم توظيفها في اعماله الخزفية
- ٢- حرص الخزاف ابداع اعمال خزفية تتمتع بعصرية محدثة ، رغم ان هذه الاعمال تعبر عن التأثيرات البيئية باشكالها المختلفة على نتاجه الخزفي
- ٣- ظهرت البيئة الطبيعية في العديد من الاعمال من الناحية الشكلية ،كالبيئة الطبيعية البشرية كما في النموذج رقم (٤) او تعود الى البيئة الطبيعية اللونية كما في النموذج (٢،١،٤).
- ٤- كان للبيئة الاجتماعية ظهورها من خلال تاثيرات البيئة السياسية على الاعمال الخزفية المتمثلة في عينة البحث كما في النموذج رقم (٤،٣،٢،١)
- ٥- البيئة التراثية ظهرت تاثيراتها في النموذج (٤،٣،٢،١)، الا انها توزعت بين رافدينية كما في النموذج (٤،٢،١) واسلامية كما في النموذج (٣)، او شعبية كما في (٣،٢)، حيث كانت قوة مؤثرة في بلورة مفاهيم حملها الخزاف في وجدانه
- ٦- البيئة الثقافية ظهرت تاثيراتها ضمن الحركات النهضوية التي مر بها العراق حيث حرص الخزافون على توظيف البيئة الثقافية بكل ماتحمله من عادات وتقاليد الموروثة في اعمالهم الخزفية كفكرة من شأنها تغيير خارطة المفاهيم الخاطئة التي يعيشها المجتمع كما في نموذج الخزاف خالد العبيدي (٣) من خلال تصوير مفهوم الشهادة
- ٧- اما التأثيرات البيئية من ناحية المضمون فقد تمثلت بالبيئة الطبيعية البشرية كما في النموذج (١،٤)، ومن البيئة اللونية باعتبار ان المصدر الاساسي للالوان هي الطبيعة كما في النموذج رقم (٤،٣،٢،١)
- ٨- تاثيرات البيئة الاجتماعية من ناحية المضمون فقد تمثلت في النموذج (٤،١)

الاستنتاجات

- ١- تضافرت عدة مؤثرات بيئية في بلورة النتاج الخزفي للخزاف خالد العبيدي ،حيث جاءت الاعمال الخزفية في مؤشرات واضحة عن هذه المؤثرات
- ٢- حاول الخزاف توظيف تاثيرات البيئة في نتاجه الخزفي مع حرصه على مواكبة متطلبات العصر وما الت اليه فنون الحداثة بتاثير من المدارس الحديثة ، اذ ان الخزاف العراقي وقع تحت تاثير البيئة العراقية بكل اطرافها والتاثيرات الجمالية والفلسفية للمدارس الحديثة في الفن فحاول التوفيق بينها في صياغة عمله الخزفي
- ٣- ظهرت تاثيرات البيئة الطبيعية من الناحية الشكلية او المضمون في اغلب الاعمال الخزفية المتمثلة في النماذج عينة البحث ، حيث تجسد توظيف الاشكال البشرية او الحيوانية سواء كانت شكلية ظاهرة ام معنى خافي
- ٤- انشغل الخزاف بالبيئة الجغرافية العراقية التي تتميز بغناها الجمالي ،والتي وفرت مادة خصبة الهمت خيال الخزاف لاداع اعمال خزفية ذات قيمة فنية والمتمثلة في البيئة الطينية
- ٥- ان خالد العبيدي شأنه شان اي انسان اخر نشأ في بيئة دينية خاصة وترعرع في ظل طقوس وعقائد تميز بها ، وبالطبع كانت لهذه النشئة متراكمات بقيت عالقة في ذهنه واحساسه لذا استطاع اخراجها الى الوجود في اعماله الخزفية
- ٦- كان للموروث الحضاري الرافديني او الاسلامي او الشعبي دوره البارز في شحن وجدان الخزاف بالعديد من الصور الجمالية ، محاولا اسقاطها على اعماله ليحقق الترابط العجيب بين موروثاته الحضارية الزاخرة بالابداعات وبين معطيات حياته المعاصرة ليخلق لنفسه اسلوبا مميزا

التوصيات

توصي الباحثة بما يلي:

- ١- ضرورة اطلاع دارسي الفنون على جماليات البيئة العراقية من خلال دراسة لاهم الفنانين العراقيين الذين جسدوا البيئة في اعمالهم سواء اكانت رسما ام خزفا.
- ٢- اصدار كراس يجمع مصورات للخزافين العراقيين المعاصرين بحيث يمكن الرجوع اليه ببسر في حالة عدم توفر نسخ من الاعمال بالطرق المألوفة.

المقترحات

في ضوء ما تقدم تقترح الباحثة عناوين لدراسات مستقبلية.

- ١- الابعاد الجمالية للبيئة وانعكاسها على الفن العراقي المعاصر.
- ٢- اثر البيئة الدينية في خزفيات العصر العباسي.
- ٣- سمات البيئة الشعبية في خزفيات طارق ابراهيم.

المصادر

الكتب //

- ١- برتملي، جان، بحث في علم الجمال، ت: انور عبد العزيز، منظمة لوفاء، الجامعة المستنصرية، المطبعة المصرية، ١٩٨٦.
- ٢- الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، دار الرضوان، حلب، ٢٠٠٥م.
- ٣- الراوي، نوري، تأملات في الفن العراقي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣،
- ٤- ريتشارد، اندريه، النقد الجمالي، ت: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٧٣.
- ٥- الحلبي، منذر محمد سلمان، الدلالات الرمزية للأعمال الفخارية في العراق القديم، رسالة ماجستير، الفنون الجميلة، جامعة بابل، خزف، ٢٠٠٨م، ص ٢٨.
- ٦- زهير يوسف حبي، الانسان والارض في ادب وادي الرافدين، مجلة افاق عربية، السنة الرابعة، العدد السادس، بغداد، ١٩٧٩،
- الزبيدي، جواد الظاهرانية في الرسم الحديث ٨
- ٩- زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، دار الطباعة للنشر، ١٩٦٦.
- ١٠- زككنا، هديل بسام، المدخل في علم الجمال، الاردن، ١٩٩٨.
- ١١- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي: ط١، دار لاكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١
- ١٢- العمر، عبد الله العمر، فكرة التطور في الفلسفة المعاصرة، الكويت، ١٩٧٨، ص ٢٣.
- ١٤- فشر، ارنست، ضرور الفن، ت: سعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، ١٩٧١.
- ١٥- المعجم الوسيط، ١٩٧٢.
- ١٦- مطر، اميرة حلمي، فلسفة الجمال من افلاطون الى سارتر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤
- ١٧- مايرز، برنارد، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها، ت: اسعد المنصوري، مسعد القاضي، م: سعيد محمد خطاب، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦
- ١٨- ناجي ابو رميلة، البيئة والتنمية في الوطن العربي، عمان المؤسسة الاردنية، ١٩٨٠.

الاطاريح //

- ١- الحسنات، حامد خضير حسين، أثر التنويم المغناطيسي في أداء التلاميذ في الرسوم التوضيحية، أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التربية الفنية، ٢٠٠٨ م.

الرسائل //

- ١- الحلبي، منذر سلمان، الدلالات الرمزية للأعمال الفخارية في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، خزف، ٢٠٠٨م.
- ٢- حسام صباح، دور البيئة في تنوع انماط فخار العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة،
- ٣- العبيدي، محمد جاسم، الاشكال النحتية على سطوح الانية الفخارية الرافدينية والخزفية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٢م.

المجلات وشبكة المعلومات (الانترنت) //

- ١- مقال بقلم خليل حيدر، مجلة الف باء، العدد ٣٤٨، اذار، دار الجماهير بغداد.
- الربيعي، د. نيراس احمد، اتجاهات، صحيفة اسبوعي تعنى بشؤون الثقافة والمجتمع. 2.
www.ittigahat.com.
- ٣- الهجول، محمد، تجربة فن الخزف العراقي ونزعة التجريب وانساق التزيين،
newsbebr.com www.azzaman

ملخص البحث

تعد البيئة من اهم العوامل المؤثرة على مسيرة الانسان حيث يتطبع بطابعها، وهذا شأن الانسان العراقي منذ القدم تاثر ببيئته بشكل كبير وهذا كما جعله انسان مبدع، فقد ابدع فناً وفكراً، وحضارات شامخة الى يومنا هذا ضم البحث الحالي الموسوم (تأثير البيئة في اعمال الخزاف خالد العبيدي) والذي تضمن اربعة فصول، ضم الفصل الاول الذي تحدت فيه مشكلة البحث والحاجة اليه حيث تم طرح التساؤل التالي هي (هل اثرت البيئة في اعمال الخزاف خالد العبيدي وما هي مديات هذا التأثير) ومن ثم حدد هدف البحث واهميته وحدوده، فضلاً عن تحديد المصطلحات اما الفصل الثاني ضم الاطار النظري للبحث والدراسات السابقة ، تضمن الاطار النظري ثلاث مباحث ، المبحث الاول يبحث في مفهوم البيئة والفن ، اما الثاني بعنوان البيئة من وجهة نظر فلسفية ، اما المبحث الثالث يبحث في توظيفات البيئة في الخزف العراقي المعاصر ، ومن ثم قامت الباحثة باستخراج مؤشرات الاطار النظري، ومن ثم تطرقت الى الدراسات السابقة حيث عثرت على رسالة الماجستير الموسومة (دور البيئة في تنوع انماط فخار العراق القديم) للباحث حسام صباح . اما الفصل الثالث تضمن اجراءات البحث والذي تضمن مجتمع البحث وعينة البحث واداة البحث والمنهج المستخدم ، وبعدها تم تحليل العينات المختارة . الفصل الرابع تضمن النتائج التالية :

١- خضعت كل الاعمال الخزفية في العينة المختارة الى تأثيرات بيئية متعددة ، منها تأثيرات البيئة الطبيعية ومنها الجغرافية او التراثية او الثقافية حيث تضافرت كل هذه البيئات في التأثير على بلورة النتاج الخزفي للخزاف خالد العبيدي من خلال تاثيرها المباشر على الخزاف الذي وجد في بيئته العراقية مجالا خصبا لاستلهام افكاره ومن ثم توظيفها في اعماله الخزفية

٢- حرص الخزاف ابداع اعمال خزفية تتمتع بعصرية محدثة ، رغم ان هذه الاعمال تعبر عن التأثيرات البيئية باشكالها المختلفة على نتاجه الخزفي

ثبت العينات

ت	اسم الخزاف	اسم العمل	سنة الانجاز
١	خالد العبيدي	امراة بابلية	٢٠٠٣
٢	خالد العبيدي	كوديا واشواك الاحتلال	٢٠٠٤
٣	خالد العبيدي	شهيدان بنفس العقيدة	٢٠٠٧
٤	خالد العبيدي	تضحية شهيد	٢٠٠٨

فنون البصرة ٢٠

ثبت الاشكال

ت	اسم الخزاف	اسم العمل
١	سعد شاكر	خزف نحتي
٢	شنيار عبد الله	البصرة
٣	عبلة العزاوي	سيف وترس
٤	جواد الزبيدي	صدر امرأة
٥	ماهر السامرائي	محراب

